المعنى العلائقي للأداة "حتّى" أمثلة من القرآن الكريم

الطالب: دحام عبد العزيز **إشراف الأستاذ الدكتور: عابد بوهادي**

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر **جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر**

يتناول البحث المعنى العلائقي للأداة "حتى" في القرآن الكريم، والذي ينتج من تعلقها كحرف جر بالجملة التي قبلها أو بجزء منها، حيث تستدعي جملتين تتوسطهما بناء على موقعها وتعلقها، فتقوم بتغيية ما قبلها إليها أو إلى ما بعدها، وهو الحكم الغالب عليها، كما تلازمها الغاية في جميع أحوالها، سواء كانت ابتدائية أو جارة أو عاطفة، والتعليق الذي ينشأ بسببها هو المعنى نفسه المتبادر من الكلام، وعليها تستنبط قواعد وأحكام.

الكلمات المفتاحية: التعلق؛ الغاية؛ قبل؛ بعد؛ التعليل؛ الحال؛ المهلة؛ الكلام؛ القواعد؛ الجملة.

The Relational Meaning of "until": Examples from the Holy Qur'an

Abstract: The research deals with the relational meaning of the "until" preposition/conjunction in the Holy Qur'an, which results from its attachment as a preposition in the preceding sentence or in part of it, where it calls two sentences interfering with them based on its position and attachment. It changes what was accepted by it or its aftermath, which is the predominantly ruling. The goal also accompanies it in all its conditions whether it is elementary, prepositional or conjunctional, and the comment that arises because of it is the same meaning that is interchangeable with words, and upon which rules and provisions are devised.

Keywords: Attachment, the aim, before, after, explanation, adverb/status, timeout, speech, rules, sentence.

-المقدمة: ترتكز الدلالة النحوية على معرفة الروابط والعلاقات الموجودة بين الأبنية الداخلية لجملة ما، وكل بناء داخلي لكلمة ما من الكلمات الإفرادية له إشعاعات خاصة به، أو معطى دلالي بحسب مكانه من السياق، يختلف عنه كما لوكان خارجه ذا دلالة معجمية، لعموم معنى هذا الأخير وعدم تميزه، ومرد ذلك إلى تعليق الكلم الذي قال عنه عبد القاهر: (ت471هـ) (ومعلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض)[1] فيتحول الكلم به إلى شيء منضّد ومصفّف ومتماسك يغري سامعه؛ لأن مادة علق لها

تاريخ تسليم البحث: 28أوت 2016.

تاريخ قبول البحث: 25 فبراير 2017.

دلالة حسية أكثر من مجردة، فهي من: (علِق الشيء، وعلِق به، نشب فيه وتعلّق به ولزمه)[2] واللزوم والنشوب بين طرفين لا يكون عرضا، وإنما يصدر عن إحساس لحاجته إليه.

والكلم إذا تأسس على تعلّق بعضه ببعض، نشأ عن ذلك دراية باستحقاق مواضعه، وعُرف به جيّده من رديئة، لأن: (الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظ لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلّق له بصريح اللفظ)[3] فساعد أنّ بناء كل كلمة استحق المزية والشرف بوجود العلاقات التي تربطه بما قبله أو بما بعده، ارتباطا قصده المتكلم؛ لأنّ (الاعتناء بالمعاني المبثوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم، بناءً على أن العرب إنما كانت عنايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها...والمعنى هو المقصود ولا أيضا كل المعاني، فإن المعنى الإفرادي لا يعبأ به إذا كان المعنى التركيبي مفهوما دونه)[4] والحاصل أن فهم المعنى المراد من كلام ما على حقيقته؛ هو فهم تعلّق كلِمه.

والتعلّق المقصود هنا مصطلح نحوي قديم: (من أحكام حروف الجر والظروف، وهو نوع من الارتباط المتمّم للمعنى، ينعقد بين ما يشبه الجملة من ظرف وجار ومجرور، وما قبلهما من أفعال أو ما يشبهها)[5] من المشتقات، أو ما يشبه المشتقات كالاسم الجامد (ففن التعليق: هو أن يتعلق الكلام إلى حين)[6] بأحد حروف المهلة: الفاء وحتّى وثم، واستثنوا من حروف الجر كما قال ابن هشام(ت761هـ)ستة أمور[7] لا متعلّق لها وهي: الحرف الزائد، ولعل الجارة، ولولا الجارة في مثل: لولاي، ورب، والكاف، وحروف الاستثناء: خلا، عدا، حشا؛ الخافضات للمستثنى.

وهناك تعريف آخر للتعلّق أشمل عند أحد المحدثين، يقصد به ما كان عليه الأوّل النحاة (وهو إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية)[8] وهنا لا يستثني عنصرا من عناصر النص في تعلق الحروف، ولا يبقي أحدا منه ولا يذره إلاّ وهو ذو تعلق بغيره، ولعلّ صاحبه بعد أن خصص ثم عمم ولم يستثن، انطلق من المفهوم العام للتعليق عند الجرجاني، فأورد أن المقصود بالمعنى العلائقي هو: (معاني حروف الجر وحروف العطف، ووسائل الربط كعود الضمائر على مراجعها، ونحو ذلك مما تنشأ به علاقة بين عنصرين أو أكثر من عناصر النص)[9] وخلاصة ما سبق أن التعلّق يركز على المعنى فيتمم الفائدة، ويبين وجه الكلام بتحديد مواقع ألفاظه.

والأداة "حتى" مع تعدد وظائفها هي مما يستدعي جملتين كسائر أدوات التعليق، فهي من حروف المعاني التي تتموقع في أكثر من جهة، وتتعلّق بأكثر من طرف، ومع كل نمط من أنماط التركيب لها معنى، وقد أفرد لها سيبويه بابا في الكتاب[10] وتبعه محمد بن يزيد المبرد في

المقتضب[11] حتّى أثر عن الفراء(ت207هـ)أنّه قال: (أموت وفي نفسي شيء من "حتّى" لأنها تخفض وترفع وتنصب)[12] ومن ثم أولتها الدراسات الاهتمام في تحليلها الدلالي بعامة، والتفسير وعلم الأصول والفقه في مقدمتها، نظرا لتنوع المعاني التي تجلبها، والأحكام والقواعد التي تترتب عليها، وذلك من خلال تنوع أساليبها، وتعدد استعمالاتها.

وقد جاء في معناها أنها من كلمة "الحت" وهو (فركك الشيء اليابس عن الثوب ونحوه، ويحتّه حتاً، فركه وقشره فانحتّ وتحاتّ)[13] ولفظة الحت في شيء ما، يراد أنها تأتي عليه، فهي تُستعمل(غاية لآخر الأمر، ولفظها يوحي بهذا المعنى، فإن لفظها يبدو أنها من الحت ومعنى الحت: الاستئصال والإزالة والخلوص إلى النهاية، أي الوصول إلى نهاية الأمر)[14] وتحديده بحد هو غاية ينتهي عنده كل شيء (ولذلك كان لفظها كلفظ الحد: حاء قبل تاءين، والحد: حاء قبل دالين، والدال كالتاء في مخرجها وشدتها، لا تفارقها إلا في الجهر، فكانت لقوة الجهر أولى بالمعنى القوي وهو الاسم والفعل، و"حتى" حرف معناه في غيره لا في نفسه بخلاف الاسم)[15] وبمفارقة التاء للدال في الجهر جاء الإيحاء الصوتي للفظة "الحت" مشعرا بعمل فيه خفوت، بخلاف مجاورتها العين "عتّى" فإنها زادت من جهرها، كما هو في حرف[16] ابن مسعود رضي الله عنه في سورة[يوسف: 35] وكما تقول العرب: (جلست عنده عتى الليل، يريدون حتى الليل، فيقلبون الحاء عينا)[17] لاتحادهما في المخرج، وهي لغة منقولة عن هذيل وثقيف.

واتفق العلماء على أنها تجيء لأحد ثلاثة معان: التعليل بمعنى: كي، والاستثناء وهو قليل(وانتهاء الغاية، وهو الغالب عليها)[18] والغاية مصطلح ذكره سيبويه عند تعرضه للزيادة في الفعل بقوله: (فالخمسة أقصى الغاية في الكثرة)[19] وهو يقصد أقصى الشيء ومنتهاه، وروى ثعلب عن ابن الإعرابي أنّ: (الغاية أقصى الشيء)[20] ولما كانت الغاية مدى كل شيء وقصاره، جيء منها بالفعل "غيّى" وأصل ألف فعله ترجع في التصريف إلى ياء: (ألا ترى أنك تقول: غيّيت غاية، ويقال: اجتمعوا وتغايوا عليه فقتلوه، ولو اشتق من الغاوي لقالوا: تغاووا)[21]فالغاية فيما اصطلح عليه هي: (نهاية الحكم، وكذلك غاية كل شيء نهايته، والسبب الذي ينتهي إليه، وينقطع عنده، فلو كان ما بعد الغاية مثلما قبلها لخرجت بذلك عن أن تكون غاية لتساوي الحال قبلها وبعدها...وتعليق الحكم بالغاية موضوع للدلالة على أن ما بعدها بخلاف ما قبلها)[22] وسواء كانت أقسام حتّى: جارة أو عاطفة أو ابتداء، فإن في إفادتها (الغاية معنى لا يفارقها في هذه الأحوال)[23] وأن الأكثر دخول ما بعدها في حكم ما قبلها، كما سيأتي.

1/-"حَتَّى" الجارة الغائية:

تأتي "حتى" حرفا جارا بمنزلة إلى في العمل والمعنى، وأشبهت "إلى" لأنها: (من حيث كانت "حتى" للغاية خفضوا بها كما يخفضون بـ"إلى" التي لانتهاء الغاية)[24] ومجرورها يكون اسما

صريحا أو مصدرا مؤولا، واختلف في جر الضمير، فالمبرد والكوفيون أجازوا جره قياسا بالحرف "إلى" لشبهها به، والبصريون خلاف ذلك(وإذا وقع بعدها اسم مفرد فتنظر فإن كان مخفوضا فهي حرف جر، وإن كان منصوبا مرفوعا فهي حرف عطف)[25] وأن يكون مجرورها غاية لما قبلها وما بعدها داخلا في حكم ما قبلها وهو الغالب، ويقدره السياق.

أ-"حتّى" الداخلة على الاسم الصريح أو المصدر:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾[يوسف: 35]حتى غاية لما قبله أي الجار والمجرور "حَتَّى حِينٍ" (متعلقان بيسجننه، أي: إلى أن ينقطع كلام النّاس وتسكن الإشاعات والأراجيف)[26] وذلك لإظهاره مظهر المذنب (وقولهَ "يَسْجُنُنَّهُ" على قول الجمهور جواب لقسم محذوف، وذلك القسم وجوابه معمول لقول مضمر، وذلك القول المضمر في محل نصب على الحال، أي: ظهر لهم كذا قائلين: والله ليسجننه حتى حين)[27]وجاءت حتى جارة للفظ حين النكرة في ست مواضع في القرآن الكريم منها هذه.

وقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[القدر: 5]حتى هنا جارة وجاءت للغاية الزمانية وغايتها بمعنى: (إلى أو مع، ومطلع: اسم مجرور بحتى، والجار والمجرور متعلق بتنزّل، أو بفعل محذوف يدل عليه سلام)[28]وجعلها غاية لحكم تنزّل الملائكة الكرام(أي: لمكثهم في محل تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج إلى طلوع الفجر)[29]وتنزل الملائكة شأن نؤمن به ولا نعرف كيفيته، فما أفادته التغيية: إحياء الليلة في العبادة رجاء الثواب والظفر بخيريتها.

أو يكون جاء تعلقها بـ"سلام" وسلام جاء بمعنيين، أحدهما: التحية من الملائكة على المسلمين أو فيما بينهم، والمراد بهذا التعلق أنّ: (الملائكة مسلمة إلى مطلع الفجر)[30] والمعنى الثاني لـ"سلام": السلامة من كل شر في هذه الليلة المباركة، أي: (من كل آفة سلامة...لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها الشر، وقال القتبي: إنّ "من" توضع موضع "الباء "يعني بكل أمر سلام أي خير)[31]وهي خير من ألف شهر.

ب-"حتّى" الداخلة على الفعل المضارع المنصوب:

ينتصب الفعل المضارع بعد حتّى بأن مضمرة لا بها؛ لأن الأصل فيها أنّها من عوامل الأسماء ولا تعمل في الأفعال وشروط العمل الاختصاص(ولأن الأصل عدم خروج الشيء عن أصله واعتقاد بقاءه على أصله أولى، ما لم يُضطر إل اعتقاد خروجه عن ذلك الأصل)[32]وبذا أكدها الزجاج(ت311هـ) بأن: (الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه يقولون إن الناصب للفعل بعد حتى "أنْ" إلاّ أنها لا تظهر مع حتى...ولا نعرف في العربية أنّ ما يعمل في اسم يعمل في فعل، ولا ما يكون خافضا لاسم يكون ناصبا لفعل، فقد بان أنّ حتى لا تكون ناصبة)[33] وفي كلامه رد على الكوفة الذين يرونها تباشر الأفعال بنفسها.

وتأتي "حتّى" الناصبة بمعنيين: إمّا أن يأتي معناها مرادفا لـ "إلى أن" وهي الجارة وتكون للغاية، والفعل بعدها يجيء للحال أو الاستقبال، والجارة لها معنيان: (إلى وكي، ولا تجر بمعنى كي: إلاّ مصدرا مؤولاً به الفعل المنتصب بعدها بأن المضمرة)[34] كقوله تعالى: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾[طه: 91]حتّى هنا حرف غاية وجر بمعنى "إلى أن" والفعل يرجع: منصوب بأن مضمرة لا بها، ولذلك قال الأزهري(ت370هـ)("حتى" تجيء: لوقت منتظر، وتجيء: بمعنى إلى)[35]وتعلقت حتّى هنا بـ"عاكفين" وهو عكوفهم على عبادة العجل(أي: قالوا لا نزال مقيمين على العجل وعبادته إلى أن يرجع إلينا)[36]وانتصب الفعل لأنه جاء مستقبلا.

ورجوع موسى كان مستقبلا بالنظر إلى الزمان الذي كانوا فيه(والظاهر من حالهم أنهم لم يجعلوا رجوعه عليه السلام غاية للعكوف على عبادة العجل على طريق الوعد بتركها لامحالة عند رجوعه، بل ليروا ماذا يكون منه عليه السلام وماذا يقول فيه...فغيوا برجوعه بطريق التعلل والتسويف وأضمروا أنه إذا رجع عليه السلام يوافقهم على عبادته وحاشاه)[37] وقيل: إنهم علِق في أذهانهم قول السامري: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾[طه: 88]وهو ما أُكد بأنهم أشربوا العجل في آيات أخر، فكانت تغييتهم باطلا.

وإمّا أن تأتي بمعنى مرادفة "كي" فتفيد التعليل، والفعل بعدها مستقبلا (وعند الكوفيين أنّ حتى، واللامين تنصب بنفسها، لقيامها مقام الناصب، فاللام قامت مقام كي، فعملت عملها، وكذلك حتى التعليلية)[38]ولهذا فإنهم قالوا في "حتى" الناصبة أنّ: (علامة كونها للغاية أن يحسن في موضعها "إلى أن" وعلامة كونها للتعليل أن يحسن في موضعها "كي")[39]وأحيانا تكون تحتمل الغاية والتعليل معا، في كثير من التوجيهات كما سيأتي لاحقا.

وجاءت "حتى" بمعنى التعليل، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾[التوبة: 6]أضيف الكلام إلى الله؛ وهو القرآن، ويصح أن تكون حتّى (للغاية أي إلى أن يسمع، ويصح أن تكون للتعليل، وهي معلقة في الحالين بأجِره، ولا يصح أن يكون من باب التنازع، وإن كان يصح من حيث المعنى أن يكون متعلقاً بـ"استجارك" أو بأجره، وذلك لمانع لفظي)[40]و"حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ" أريد به: (منك ويتدبره حق تدبره ويقف على حقيقة ما تدعوا إليه، ويتحقق أنه ليس من كلام الخلق، والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة إلى شيء آخر في الفهم لكونهم من أهل الفصاحة)[41]واحتمال معنيي الغاية والتعليل كما هنا أو في غيرها، لهما من التلازم في التفسير ما لهما.

ومثله قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا﴾[المنافقون: 7]"حتى" للتعليل بمعنى: كي فهي حرف تعليل ونصب، والمصدر المنسبك في محل جر بحتّى المتعلقة بالنهي "لا تنفقوا" والمعنى: (انتهاء الفعل المذكور قبلها وغاية الفعل

ينتهي الفاعل عن الفعل إذا بلغها، فهي سبب للانتهاء وعلّة له، وليس المراد فإذا انفضوا فأنفقوا عليهم)[42]والانفضاض: التفرق والابتعاد، وهو قول المنافقين يقصدون الأنصار ليتفرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتضعف شوكة المسلمين، والآية كلها كلام مستأنف، جار مجرى التعليل لفسقهم.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[البقرة: 55]حتى غاية وحرف جر بمعنى: إلى، متعلقة بـ"لن نؤمن" أي: (أُخبروا بنفي إيمانهم مستصحبا إلى هذه الغاية، ومفهومها: أنهم إذا رأوا الله جهرة آمنوا، والرؤية هنا بصرية)[43]وأكدوها بالمصدر جهرة: أي عياناً، أو على الحال.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[البقرة: 187]"حَتَّى" يَتَبَيَّنَ: (حتى بمعنى إلى)[44]متعلقة بـ"كلوا واشربوا" فهي جارة للمصدر المؤول، وهي(غاية للتبيين)[45]والتبيين هو أن يمتاز أحدهما عن الآخر، ويظهر السواد عن البياض ظهورا واضحا ممتدا إلى الفجر.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾[الحج: 55]حَتَّى تَأْتِيَهُمُ: جار ومجرور متعلق بلا يزال، وضمير(منه عائد على: القرآن، وقيل: على الرسول، وقيل: ما ألقى الشيطان...وحتى غاية لاستمرار مريتهم، فالمعنى: حتى تأتيهم الساعة أو عذاب يوم عقيم، فتزول مريتهم، ويشاهدون الأمر عيانا)[46] وفيه توعّد الكفار لبقائهم في الامتراء؛ إذا زالت المرية آمنوا، وحمل اليوم العقيم على القيامة.

وقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾[التوبة: 43]حتّى للغاية متعلقة بـ" لِمَ أَذِنتَ" أو بمحذوف دل عليه الكلام(تقديره: هلا أخرتهم إلى أن يتبين، أو ليتبين، وقوله: لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ يدل على المحذوف)[47]ويقتضي المراد كأنه قيل: (لم سارعت إلى الإذن لهم، وهلا تأنيت حتى يتبين لك صدق من هو صادق منهم في العذر الذي أبداه، وكذب من هو كاذب منهم في دعواه، قال ابن عباس: لم يكن يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم المنافقين يومئذ، حتى نزلت سورة براءة)[48]ففضحت المنافقين بأسمائهم وأفاعلهم.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[البينة: 1]منفكين تعني: الانفكاك والانفصال والبينونة عن الشيء، وهي التي تعلقت بها "حَتَّى" وهي(حرف غاية وجر بمعنى: إلى أن أو إلاّ أن)[49]والبينة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما هو مبين فيما بعدها، والفعل المضارع بعد حتى: "تَأْتِيَهُمُ" لفظه المضارع، ومعناه الماضي، ومعنى الآية(أنهم لم ينتهوا عن كفرهم وشركهم بالله حتى أتاهم محمد صلى الله عليه وسلم

بالقرآن، فبين لهم ضلالتهم، وجهالتهم، ودعاهم إلى الإيمان، فآمنوا، ولم يكونوا مؤمنين منفصلين عن كفرهم قبل بعثه)[50]وأفاد التعلّق أن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم نعمة كبيرة للبشرية، في الإنقاذ به من الجهل والضلالة.

ومنهم من رأى أن حتّى هنا ليست على بابها، وليس لها تعلق وإنما هي بمعنى: (إنْ الاتصالية والتقدير: وإن جاءتهم البينة)[51]لأن الآية الرابعة بعدها وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[البينة: 4]تبين أن الكفار الذين لم يكونوا منفكين عن كفرهم لم يزدادوا إلاّ كفرا لما جاءتهم البينة، ولذا فالذين كفروا من أهل الكتاب(لم يكونوا تاركين لصفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم: أنه نبي حتى ظهر، فلما ظهر تفرقوا واختلفوا)[52]ويؤيد هذا المعنى آيات؛ منها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[البقرة: 89]كما يؤيد أن سورة البينة: مدنية، تكشف أسرار يهود.

ومما تعلق بمحذوف قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[الحجر: 99]حتّى حرف غاية وجر، متعلقة بمحذوف دل عليه "أعبد" وتقديرهذه الغاية معناها: (مدة حياتك، ويحتمل أن يكون المعنى: حتى يأتيك اليقين في النصر الذي وعدته)[53] وأريد باليقين الموت، والمقصود: ألاّ يفارق العبادة حتى يموت.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة: 102]حتى حرف غاية وجر وهي هنا (بمعنى إلى، والفعل بعدها منصوب بإضمار أن...والتقدير إلى أن يقولا، وهي متعلقة بقوله: "وما يُعَلِّمان" والمعنى أن ينتفي تعليمهما أو إعلامهما على حسب ما مضى من الخلاف إلى هذه الغاية وهي قولهم: إنما نحن فتنة فلا تكفر)[54]وأجاز أبو البقاء(538-616هـ)أن تكون "حتى" بمعنى "إلا" (أي: وما يُعَلِّمان من أحدٍ إلاّ أن يقولا)[55]بمعنى الاستثناء، وعليه قول العرب: (وأمّا قولهم: والله لا أفعل إلاّ أن تفعل، فأن تفعل في موضع نصب، والمعنى حتى تفعل)[56]ويؤكد أيضا من كلامه أن النصب ليس جاء من حتى بل بأن المضمرة بعدها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[الأعراف: 40]الجار والمجرور من: حَتَّى يَلِجَ، متعلق بما قبله بتقدير: (لن تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى ولوج الجمل في سم الخياط أي: الإبرة)[57]والجمل من أعظم المخلوقات عند العرب، وسم الخياط معروف في غاية الضيق، فجاء المعنى على كما قيل: (لا يدخلون الجنة حتّى يتقحم أعظم الأشياء وأكبرها عند العرب في أضيق الأشياء وأصغرها، فكأنه قيل: لا يدخلون حتّى يوجد هذا المستحيل)[58]والمراد بهذا التعلق في المثل المضروب أي: لا يوجد هذا أبداً، وهو من تعليق الشرط على مستحيل يلزم منه استحالة وقوع الشرط.

2/-"حَتَّى" الابتدائية الغائية:

والابتدائية معناها: أنها حرف ابتداء ملغاة لا عمل لها، فهي تصير مثل(حروف الابتداء؛ لأنها لم تجيء على معنى إلى أَنْ، ولا معنى كي، فخرجت من حروف النصب كما خرجت إذن منها في قولك: إذنْ أظنُّك)[59] ويستأنف بعدها الكلام بجملة اسمية أو شرطية أو فعلية مضارعها مرفوع، ورأي البعض أنها ابتدائية لا غائية، لكن الذي عليه الجمهور أن "حتى" وإن لم تكن عاملة إلا (أنها تفيد معنى الغاية فيكون مضمون الجمل التي بعدها غاية للحكم المذكور قبلها)[60] يعني أنّ إفادتها الابتدائية لا ينافي كونها تفيد الغاية أيضا(فهي إذا كانت حرف ابتداء لا تفارقها الغاية)[61] وهذا ما أكده ابن مالك، وابن هشام في كتبهما، وأبو حيان في عدة مواضع من تفسيره.

أ-"حتّى" الداخلة على الفعل الماضي:

ففي قوله تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾[الزخرف: 29]حتى حرف ابتداء وغاية متعلقة بالتمتع، وتفسير ذلك: (أبقيتهم وَآبَاءَهُمْ، ولم أعاجلهم بالعقوبة بل أبقاهم بدون عقوبة مع شركهم وكفرهم، واتخاذ أصنام كاللات وهبل ومناة)[62] فكأنه غيا التلهية والإعراض الذي كانوا فيه عن ملة إبراهيم عليه السلام حتى جاءهم الحق، و"الحق وَرَسُولٌ مُّبِينٌ" إشارة لكلمة التوحيد التي طلب إبراهيم عليه السلام ربه أن تكون باقية في عقبه(والغاية لذلك فكأنه قيل: اشتغلوا حتى جاء الحق وهي غاية له في نفس الأمر)[63] وكان المفروض أن ينتهي تعلقهم وانشغالهم بمجيء الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما جاءهم، قالوا هذا سحر.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾[الأنعام: 34] "حَتَّى" حرف غاية وابتداء يصلح تعلقها: لصبرُوا، أو كذبوا أو أُوذوا، فتكون("حتى" متعلقة: فصبروا، ويجوز أن يكون الوقف، ثم على" كذبوا"، ثم استأنف فقال: " وأوذوا" فتتعلق" حتى" به، والأولى أقوى)[64] يعني تعلّقها بالصبر، والائتناف بـ" أوذوا" يؤيد تعلقها به أيضا؛ وذلك لوجود النسق بين(الصبر والإيذاء، لظاهر عطف أوذوا على فصبروا وإن كان معطوفا على كذبوا فتكون الغاية للصبر)[65] والمعنى: تأس بمن صبر من الرسل عليهم السلام؛ الذين سبقوك في صبرهم على التكذيب والأذى، حتّى يأتيك نصرنا كما أتاهم.

والظاهر أنّ الغاية هنا(متعلقة بقوله: فصبروا، أي: كان غاية صبرهم: نصر الله إياهم)[66] ويؤكد تعلق الغاية بالصبر: أن الآية مكية، وقد كانوا أمروا به، لا بالانتصار، وفي ذلك تشجيع كما دلت آيات أخر على الصبر، وأن الصبر لابد أن يكون على شيء؛ وهو هنا التكذيب والإيذاء فتكون ("ما" في قوله: على مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا مصدرية أي على التكذيب والإيذاء الواقعين

عليهم، وهكذا تستند قرينة السياق إلى العلاقات العقلية والدلالية)[67]والحاصل أنّ القيد الواقع بعد عدة جمل، كما هو هنا في هذه المتعلقات (إذا لم يمنع مانع من عوده إلى جميعها، لا من نفس اللفظ، ولا من خارج عنه، فهو عائد إلى جميعها، وإن منع مانع فله حكمه)[68]لأن الأفعال الثلاثة كلها حدثت فيهم فالإيذاء والتكذيب وقعا عليهم، والصبر صدر منهم، فكلها متعلقات إلى غاية مجيء النصر.

ومثله قوله تعالى: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[التكاثر: 2]"حَتَّى" هنا حرف غاية وابتداء، وليها الفعل الماضي، وهي متعلقة بألهاكم (أي دام إلهاء التكاثر حتى زرتم المقابر، أي استمر بكم طول حياتكم، فالغاية مستعملة في الإحاطة بأزمان المغيًّا لا في تنهيته وحصول ضده؛ لأنهم إذا صاروا إلى المقابر انقطعت أعملهم كلها)[69]فيحتمل الغاية للمتكاثر كما كانوا يتكاثرون بقبور موتاهم ويتفاخرون بمن هو أكثر عددا، أو يحتمل أنّ زرتم المقابر المراد منها: (متم، فالإنسان مجبول على التكاثر إلى أن يموت...ومعنى الآية الكريمة، أي: أنكم تلهوتم بالتكاثر عن الآخرة إلى أن متم)[70]وفيه توبيخ على اللهو يستوجب الإقلاع عنه.

وأمّا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا﴾[الأعراف: 95]حَتَّى غاية وابتداء، متعلق ببدلنا، وقدّرها أبو البقاء تقدير المصدر المسبك من أن المضمرة والمضارع، بمعنى: "إلى أن" وهي هنا مع الماضي فقال: (أي: إلى أنْ عفوا؛ أي: كثروا)[71]وأوضح السمين الحلبي(ت756هـ) كلام أبي البقاء وأحسن محمله من أنّه أراد(تفسير المعنى لا الإعراب...وأما الماضي فلا يطرد حذف أنْ معه، فلا يقدر معه أنها حرف جر داخلة على أن المصدرية، أي: حتى أنْ عفوا، وهذا الذي يحمل عليه قول أبي البقاء حتى عفوا على أن عفوا)[72]فـ"حتى" جارة للمصدر المؤوّل.

ب-"حتّى" الداخلة على الجملة الشرطية المصدرة بـ"إذا":

و"حتى" الابتدائية تدخل على الجملة الشرطية المصدرة بـ" إذا"(والجمهور يرى أن "حتى" هنا ابتدائية وتفيد الغاية، وأنّ إذا شرطية والغاية تؤخذ من جواب الشرط)[73] ورأي بعض النحويين[74] أن جعلوا "حتى" جارة لـ"إذا" التي فارقت الظرفية: (وجاز لـ"إذا" أن تفارق الظرفية وترتفع بالابتداء، كما جاز لها أن تخرج بحرف الجر عن الظرفية)[75]والجمهور على أن الشرط لا يعمل فيه ما قبله، وليس لها محل إعرابي؛ لأنها جملة استئنافية.

من ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾[المؤمنون: 99]"حتى" هنا ابتدائية دخلت على جملة شرطية، وهي غاية لما قبلها، ومعنى ذلك أن الله ذكر(حال الكافرين عند مجيء الموت، فإنهم يتمنون أن يعودوا إلى دار الدنيا ليعملوا صالحا، لكن لا يسمع لقولهم ودعائهم، والمراد أن الكفار ما يزالون على سوء الحال والاعتقاد إلى

الموت)[76] فتعلقت حتّى بـ" لكَاذِبُونَ" في قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [المؤمنون: 90] وكذبهم هو(ما تقوله الكفار من إثبات الشريك، ونفي البعث)[77] والاستهزاء بالرسول وبالقرآن.

ومنهم من جعل "حتّى" تعلقت بـ"يصفون" في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ اللَّه عَمَّا يَصِفُونَ﴾[المؤمنون: 91]أي: من قولهم الشرك والتكذيب ومن الأوصاف التي كان يطلقونها زورا وبهتانا، ومعنى هذا التعلق(أي: لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت)[78]فبقوا على الوصف بالكذب حتى فاجأهم الموت، فإذا أيقن أحدهم بحقيقة الأمر، أدركته الحسرة على ما فرط، فطلب الرجعة من ربه ومن الملائكة بصيغة الجمع؛ وهي بمعنى تكرير الفعل أي: ارجعني أرجعني.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾[الأنعام: 31]حتى: ابتدائية وقد جاءت متعلقة بالخسران أو التكذيب، والأظهر أنها (غاية للتكذيب، لا للخسران فإنه لا غاية له)[79]وإن خسران الخاسرين يوم القيامة في ثوابهم أبدي لا حد له، وقد استعظمه القرآن في عدة آيات منها، قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾[الزمر: 15]

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾[الأعراف: 37]حتى ابتدائية (متعلقة بقوله: يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم)[80]ونيل النصيب: يكون في الدنيا كما يكون في الآخرة، فما كتب لهم من نيل النصيب في الدنيا يشمل الأرزاق من خير وشر، وفي مقدمتها الضلال والهدى، والمعنى: (أنهم ينالهم حضهم مما كتب لهم إلى أن يأتيهم، رسل الموت يقبضون أرواحهم)[81]وإذا كان المراد به نيل الآخرة، إمّا جنة وإمّا نار، وهي هنا إلى النّار، أي: (إلى غاية هي هذه، والمراد بالرسل هنا ملك الموت وأعوانه أو الملائكة الموكلون بإدخالهم النار)[82]ويتوفونهم من الإحصاء يستوفونهم عددا في السوْق إلى جهنم، وعلى كلٍّ فإن "حتى" متعلقة بالنيلين في هذه أو في الأخرى.

وقد يكون المتعلّق به محذوفا فيقدر: كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾[سبأ: 23]فليس في الكلام عائد على أن حتى غاية له، فقُدر له محذوف تعلقت به يشير له قوله تعالى: ﴿فِي الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾[سبأ: 22]وهم الملائكة الذين اتخذوهم آلهة (ففي الكلام حذف يدل عليه الظاهر، كأنه قال: ولا هم شفعاء كما تحسبون أنتم، بل هم عبدة مستسلمون أبداً، حتى إذا فزع عن قلوبهم)[83]والمعنى: أنه إذا أُطير عنها الصعق، أفاقت منه، والضمير في "قلوبهم" عائد على الملائكة، وفيه قراءة " فزَّع" وتعتبر تفسيراً للأولى (فمن قرأ فزَّع أراد فرّغ منها الفزع)[84]وهذا الوجه للمعنى أوجه، وله في صحيح البخاري[85]ما يدعمه، والملائكة يصعقون للأمر الصادر من

الحق تبارك وتعالى هيبة، أو خوفا من قيام الساعة، فلما يتساءلون، يجابون بقوله تعالى: ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ كما في بقية الآية.

ومنهم من رأى أن متعلق "حتى" ظاهر في ما قبل ذلك، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ﴾[سبأ: 20]متعلقا بأتباع إبليس من الكفرة، فيكون الضمير في عليهم: (عائدا على جميع الكفار، ويكون حتى غاية لقوله: فاتَّبَعُوهُ، ويكون التفزيع حالة مفارقة الحياة، أو يجعل اتباعهم مستصحبا لهم إلى يوم القيامة)[86]وعندئذ يعاينون الحقيقة ويقرون بالحق، لأن فزَّع فعل يراد به سلب المعنى، ويكون هذا حاصل يوم القيامة.

ومن المتعلق بمحذوف قوله تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾[الكهف: 96]في الآية تركيبان لـ"حتى إذا" وهما متعلقان بمحذوف يقدر، يدل عليه سياق الكلام(والتقدير: فأتوه أو فآتوه بها فأمر برص بعضها فوق بعض، حتى إذا ساوى...وفي الكلام حذف تقديره: فنفخوا حتّى إذا)[87]والنفخ بآلات، ليس بأفواههم! وهذا التقدير: سببه أن حتّى لابد أن تستدعي جملتين.

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾[مريم: 75]"حتى" هنا الابتدائية الداخلة على الجمل الشرطية، رجح الزمخشري تعلقها بقول الكفار في قوله تعالى: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾[مريم: 73]وهي شبهات كان الكفار يتشبثون بها، ويطرحونها على الذين آمنوا، وكانوا(لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به، ولا يتكافون عنه إلى أن يشاهدوا الموعود رأي عين)[88]وهو العذاب المسلط عليهم في الدنيا، أو ما يلاقونه يوم القيامة؛ لأن العذاب والساعة بدل من" ما يوعدون" وعندئذ يعلمون من هو الفريق الذي نال الخيرية والقربى.

أو أنها متعلقة بما يليها: " مداً " والمد أصلا هو (الجذب والمطل...ومدّه في الغي والضّلال مدًّا ومدّ له: أملى له وتركه)[89]وهو من إرخاء الحبل وإطالته، واستعمل مجازا في الإمهال، والتقدير: (يمد لهم الرحمن حتى يروا العذاب فيعلموا من هو أسعد ومن هو أشقى)[90] والإمهال سنة الله في إعذار المضلين وتحذيرا لغيرهم من الاستدراج.

ومن المتعلق بمحذوف قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ﴾[النمل: 18]حتى ابتدائية، وغاية لشيء مقدر، وقُدر تعلقها بمحذوف أو ظاهر، ولهما نفس المعنى، فالمحذوف: ساروا حتى إذا أتوا، والظاهر: تعلقت بالفعل يوزعون و معناها(وزعته عن كذا: كففته عنه...أي: حبس أولهم على آخرهم)[91] وكذلك تعلقها الظاهر بالفعل "يوزعون" فإنّه يضمن(معنى فعل يقتضي أن تكون حتى غاية له، أي: فهم يسيرون مكنوفا بعضهم من مفارقة

بعض)[92] فإنّهم مع الكثرة والتنوع لم يكونوا مهملين، بل كانوا يسيرون مسوسين ممنوعاً بعضهم مفارقة بعض، حتى أتوا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾[الأنعام: 25] "حتّى" تحتمل الابتدائية التي تقع بعدها الجمل فهي مثل الواو الاستئنافية، وتحتمل الغاية فيصير ما قبلها مغيا بها وتعلّقها بـ"لا يؤمنوا بها" والمعنى: (أنهم بلغوا من الكفر والعناد إلى أنهم ِ"إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ" أي مجادلين مخاصمين لا مؤمنين بها...وقيل هي الجارة والمعنى حتى وقت مجيئهم مجادلين يقولون ذلك، وهذا غاية التكذيب ونهاية العناد)[93]وأجاز الزمخشري جرها بقوله: ("إِذَا جَاءُوكَ" في محل الجر بمعنى: حتى وقت مجيئهم، ويجادلونك حال)[94]وهو غاية التكذيب والعناد.

ومثله قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾[يوسف: 110]وقبلها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: 80]الاستيآس واليأس من(أيس واتأس...ويقال استيأس بمعنى يئس)[95]واليأس ضد الرجاء(والاستيئاس ليس هو الإياس.. فـ"اليأس" يكون في الشيء الذي لا يكون)[96] بدليل من ييأس من روح الله كافر، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[يوسف: 87]فالاستيئاس كان منهم، واليأس نهاهم عنه؛ أبوهم عليه السلام، أما الرسل عليهم السلام فلم يذكر مما استيأسوا منه.

والاستيئاس استفعال من اليأس(والاستفعال يقع على وجوه: يكون لطلب الفعل من الغير، فالاستخراج والاستفهام والاستعلام يكون في الأفعال المعتدية، يقال: استخرجت المال من غيري، وكذلك استفهمت، ولا يصلح هذا أن يكون معنى الاستيئاس، فإن أحدا لا يطلب اليأس ويستدعيه، ولأن استيأس فعل لازم معتد، ويكون للاستفعال لصيرورة المستفعل على صفة غيره، وهذا يكون في الأفعال الازمة كقولهم: استحجر الطين، أي: صار كالحجر، واستنوق الفحل، أي صار كالناقة) [97]

و"حتى" غاية لما قبلها وما قبلها غير ظاهر، فأورد السمين الحلبي التقديرات المقدرة للمحذوف عن السابقين، لأنه لا يوجد في النص متعلّق(وليس في الكلام شيء يكون "حتى" غاية له، فمن ثم اختلف الناس في تقدير شيء يصح جعله تغيية بـ" حتى": فقدره الزمخشري: "وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتراخى نصرهم حتّى، وقدره القرطبي: وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالا لم نعاقب أممهم بالعقاب حتى إذا، وقدره ابن الجوزي: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فدعوا قومهم فكذبوهم، وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم حتى إذا)[98]والمعنى أنهم لا يغرنهم إمهال الله لهم، وانهماكهم في الكفر، فوعد الله إذا جاء لا يرد.

ومنه قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[يونس: 22]حتى الداخلة على إذا الشرطية، هنا متعلقة: بيسيركم من التسيير وقراءة ابن عامر(ينشركم)[99] من النشر وقد أجاب الزمخشري عن هذا التركيب العجيب، بقوله: (كيف جعل الكون في الفلك غاية التسيير في البحر، والتسيير في البحر إنما هو بالكون في الفلك؟ قلت: لم يجعل الكون في الفلك غاية التسيير، ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قال: يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة فكان كيت وكيتَ من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء)[100]وفي صرف الكلام مزيد من الإنكار والتوبيخ.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾[يونس: 24] "حتى" غاية فلا بد لها من شيء مغياً(والفعل الذي قبلها وهو "اختلط" لا يصلح أن يكون مغيا لقصر زمنه، فقيل: ثَم فعل محذوف، أي: لم يزل النبات ينمو حتى كان كيت وكيت، وقيل: يتجوز في "فاختلط" بمعنى: فدام اختلاطه حتى كان كيت وكيت)[101]وفي الآية إشارة إلى سرعة تقضي الدنيا في إقبالها، بحال النبات في ذهابه بعد رونقه.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾[آل عمران: 152]في "حتّى" قولان: أنها حرف جر بمعنى إلى وفي متعلقها ثلاثة أوجه: أحدها أنها متعلقة بـ(تحسُّونهم أي: تقتلونهم إلى هذا الوقت)[102] والثاني: أنها متعلقةٌ بـ "صدقكم"، وهو ظاهر قول الزمخشري قال: (ويجوز أن يكون المعنى: صدقكم اللهُ وعدَه إلى وقت فشلكم)[103]والثالث: أنها متعلقةٌ بمحذوفٍ دَلَّ عليه السياق، وهو قول أبي البقاء: (تقديره: دام لكم ذلك إلى وقت فشلكم)[104]أي أنّ صِدق الوعد والحَس وهو القتل استمر إلى أن فشلتم.

القول الثاني: أنها حرف ابتداء داخلة على الجملة الشرطية المصدرة بـ"إذا" التي هي على بابها، وفي جوابها ثلاثة أوجه: الأول فشلتم والواو زائدة، أي: (يقال: إنه مقدم ومؤخر؛ معناه: حتى إذا تنازعتم فشلتم، فهذه الواو معناها السقوط)[105]والجواب الثاني في (ثم صرفكم وثم زائدة)[106]واعتبر القولان ضعيفان، والثالث: الجواب محذوف، قدره ابن عطية: (انهزمتم ونحوه)[107]وعليه الجملة مستأنفة، وقال أبو البقاء: (والصحيح أنها لا تتعلق في مثل هذا بشيء؛ وأنها ليست حرف جر، بل هي حرف تدخل على الجملة بمعنى الغاية، كما تدخل الفاء والواو على الجمل)[108]غير أن كونها واقعة بين جملتين؛ هي غاية لمتعلق كما سبق، ولا يستقيم المعنى إلاّ بتعلقها بما قبلها.

وبعضهم جعل الغاية غير ملزمة "حتّى" الابتدائية، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ*حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ

الْقَرِينُ﴾[الزخرف: 38]"حتّى" ابتدائية والتمني جواب "إذا"؛ فإن أريد به في الدنيا تمنى لا يصده عن سبيل الله، أو أريد به في الآخرة تمنّى أن لا يراه لشدة ما فعل به(وهو الظاهر؛ لأنه جواب "إذا" التي للاستقبال)[109] قال ابن عاشور: (حتّى ابتدائية تفيد التسبب الذي هو غاية مجازية فاستعمال حتى فيه استعارة تبعية...وليست في الآية دلالة على دوام الصد عن السبيل وحسبان الآخرين الاهتداء إلى فناء القرينين، إذ قد يؤمن الكافر فينقطع الصد والحسبان فلا تغتر بتوهم من يزعمون أنّ الغاية الحقيقية لا تفارق "حتى" في جميع استعمالاتها)[110]فرجح أنّها لا تلازم الغاية، ودلّل لها بإسلام القرين.

ومن هنا جاء القول بأنّ تغييتها أقصر، فهي (مثل "ثم" في الترتيب بمهلة غير أن المهلة في "حتى" أقل منها في "ثم" فهي متوسطة بين الفاء التي لا مهلة فيها وبين ثم المفيدة للمهلة)[111]وسواء قصرت الغاية أو طالت(فالكافر يوم القيامة، يتبرم بالشيطان الذي وكل به، ويتبرأ منه، ويتمنى الكافر أنه بينه وبين الشيطان المقارن له من البعد ما بين المشرق والمغرب، فبئس الصاحب الملائم للإنسان شيطانه)[112]وقد يهدي الله القرينين فلا تلازم "حتّى" الغاية.

ج-"حتّى" الداخلة على الفعل المضارع المرفوع:

وتأتي "حتى" قبل الفعل المضارع المرفوع، فتكون ابتدائية ولا تكون عاملة فيه، فلا ينتصب، وتجيء إفادتها للسببية بحيث تصلح لمعنى الفاء، فإذا (رفع المضارع بعدها لكونه حالاً، أو مؤولًا به، فهي كالفاء في إفادة معنى السببية، وتصلح الفاء في موضعها، ولكنها مع ذلك حرف ابتداء، لا حرف عطف، لأن "حتى" العاطفة لا تعطف الجمل عند الجمهور)[113]كما يراعى الاستقبال والمضي بعدها.

ففي قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[البقرة: 214]فيها حرف نافع: ("حَتَّى يَقُولَ" برفع اللام والباقون بنصبها)[114]وقراءة النصب التقدير: (إلى أن يقول الرسول، فهو غاية، والفعل هنا مستَقْبَل حُكيت به حالهم والمعنى على المضي؛ والتقدير: إلى أنْ قال الرسول، ويقرأ بالرفع...و كلا الفعلين ماضٍ فلم تَعْمَل فيه "حتى")[115]يقصد ماضي المعنى، وقراءة النصب يدعمها قول الرسول عليه السلام والذين معه، كما يدعمها جواب القول، في جعل الفعل مستقبلا (وإنما هو مستقبل بالنظر إلى الزلزال لا بالنظر إلى قص ذلك علينا)[116]وهي بمعنى: إلى أن يقول،

فقراءة نافع من المؤول بالحال لأن شروط الرفع ما بعدها الحال أو المؤوّل به، وتقديره: (حتى حالتهم حينئذ، أي حين إذا وقع الزلزال...وفائدة الحكاية تصوير تلك الحالة العجيبة الشأن، واستحضار صورتها في مشاهدة السامع للتعجيب)[117]والزلزال الحالة النفسية التي مروا بها لا زلزال الأرض، و"حتى" إذا كان الفعل بعدها بمعنى: (الماضي أو الحال فلا ينتصب

بعدها...ومعنى الآية: وزلزلوا حتى قال الرسول: أو حتى كان من شأنه أن يقول، فيكون حكاية الحال)[118]وإذا كان بمعنى (الماضي والحال كان جملة، و"حتى" لا تعمل في الجمل)[119]وتعمل في المفردات، لأن ما بعدها بعض مما قبلها لتعلقها به، فاشترطوه سببا في المضارع المرفوع، لذا قال أبو البقاء: الزلزلة سبب القَوْلِ.

وجملة" مَتَى نَصْرُ اللَّهِ": إمّا أن تكون صدرت من أتْبَاعَ الرسول استبطأوا النصر، فقالوا: متى نَصْرُ الله؟ فقال الرسول: ألاَ إنَّ نَصْرَ الله قريب، أو يكون من هما معاً من الرسول عليه السلام، والرسول هنا للجنس، والذين معه(وهو أن الجَهد بلغ بالأمم التي قبل هذه الأمة حتّى استبطأوا النصر، فقال الله عز وجل: أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)[120]وهو قول: (على طلب استعجال النصر لا على شك ولا ارتياب)[121] وكان الجواب من الله عز وجل بجملة اسمية مؤكدة، ومصدرة بحرف التنبيه، على تحقق المضمون وتقرّره، وعلى استئناف الكلام تأكيدا لقربه.

ومذهب سيبويه أنّه(قد تقع نفعل في موضع فعلنا في بعض المواضع)[122]وهو من أساليب العرب (قال الكسائي سمعت العرب تقول: إن البعير ليهرم حتى يجعلَ إذا شرب الماء مجه)[123]فاستحسنوا الفعل المضارع لفظاً الماضي معنىً، مكان الفعل الماضي، أي: يجعل مكان جعل، وهو ما أكد عليه الحلبي في قراءتي النصب والرفع، بقوله: (ثم حكايته له: إما أن تكون حسب كونه مستقبلا، فتنصبه على حكاية هذا الحال، وإما أن يكون بحسب كونه حالا، فترفعه على حكاية هذه الحال، فيصدق أن يقول في قراءة الجماعة: حكاية الحال، وفي قراءة نافع أيضا: حكاية الحال)[124]ويرجع إيضاح معنى الفعل في فهم الحال والاستقبال أيضاً إلى قرائن السياق.

وحصر مكي بن أبي طالب(355-437ه) تحولات معنى الفعل المضارع بعدها بين المضي والاستقبال: (فإذا ارتفع الفعل بعد "حتى" على معنى حال مضت محكية، فالفعل لما مضى، وإذا ارتفع على معنى حال لم تنقض، فالفعل للحال، وإذا انتصب على معنى (إلى أن) فالفعل ماض، وإذا انتصب على معنى (كي) فالفعل مستقبل، فافهم هذا فإنه مشكل، وعليه مدار أحكام "حتى")[125]والمعنى في كلٍّ من القراءتين واحد فكأنه قال: (هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم إلى أن يأتيهم نصر الله، فكونوا يا معشر المسلمين كذلك، وتحملوا الأذى والشدة والمشقة في طلب الحق، فإن نصر الله قريب إتيانه لا بعيد)[126]فأفاد تعلق "حتى" بالزلزلة، طول الجَهد وصبر المؤمنين عليه، وفتنتهم وتميز الصف، واستحقاقهم نصر الله عز وجل.

النتائج:

1-لاحظ الباحث أنّ "حتّى" لا تنفك عن غائيتها في جميع أقسامها الثلاثة الجارة والابتدائية كما في القرآن والعاطفة في الشعر وكلام العرب وهو ما عليه جمهور النحاة، وما درج عليه المنجز التفسيري

2-وإذا كانت "حتّى" لا تفارقها الغاية في جميع أقسامها، فإنها لابد وأن تحتاج في كل حالاته إلى متعلق وهذه المتعلقات إما ظاهر، وإما محذوف فيقدر.

3-وبناء على تعلق "حتّى" ومجرورها بما قبلها، فإن حتى تستدعي جملتين وإن جاءت حرف ابتداء.

4-يشترط في تغيية ما قبل "حتّى" التدرج شيئا فشيئا.

5-يلاحظ أن، دخول ما بعد "حتّى" فيما قبلها وهو الغالب، وخاصة بعد الجارة.

6-تكون الجارة للتعليل والاستثناء، ولا تنفك عن غايتها.

7-تفيد "حتّى" الداخلة على المضارع المرفوع معنى السببية، ويكون ما بعدها مسببا عما قبلها.

8-وفي جميع الأحوال تلازمها الغاية ولا تخلوا من تعلق.

9-أفاد البحث أنْ لا تلازمها الغاية أحيانا

مراجع البحث وإحالاته:

(1)-دلائل الإعجاز، الجرجاني (تح)شاكر: 34

(2)-معجم محمود محمد شاكر: 237

(3)-م س: 94

(4)-الموافقات، الشاطبي: 87/2

(5)-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام: 271/5، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير اللبدي: 156

(6)-الجدول في اعراب القران وصرفه وبيانه، محمود صافي: 277/2

(7)-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام: 305/5 الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 22/1

(8) – البيان في روائع القرآن، تمام حسان: 188

(9) -اجتهادات لغوية، تمام حسان: 195

(10)-الكتاب، سيبويه: 16/3

(11)-المقتضب، المبرد: 37/2

(12)-انباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي: 15/4، وفيات الأعيان، ابن خلكان: 180/6

(13)-لسان العرب، ابن منظور: 767/9، تهذيب اللغة، الأزهري: 423/3
(14)-معاني النحو، السامرائي: 35/3
(15)-نتائج الفكر في النحو، السهيلي: 197، بدائع الفوائد، ابن القيم: 343/1
(16)-معجم القراءات، أحمد مختار وعبد العال مكرم: 169/3
(17)-تهذيب اللغة، الأزهري: 200/5
(18)-شرح الدماميني على مغني اللبيب، محمد بن أبي بكر الدماميني: 454/1
(19)-الكتاب، سيبويه: 230/4
(20)-تهذيب اللغة، الأزهري: 221/8، جمهرة اللغة، ابن دريد: 185/1 المنصف، ابن جني: 83/3
(21)-كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، الخليل: 297/3
(22)-التقريب والإرشاد الصغير، الباقلاني: 359/3،360
(23)-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 37/2، الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي: 553
(24)-نتائج الفكر في النحو، السهيلي: 197، بدائع الفوائد، ابن القيم: 343/1
(25)-البسيط في شرح جمل الزجاجي، عبيد الله بن أحمد الإشبيلي: 905/2
(26)-إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش: 535/3
(27)-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 494/6
(28)-الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح: 480/12
(29)-فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي: 325/15، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود: 558/5
(30)-التبيان في إعراب القرآن، العكبري: 2/ 1296، إملاء ما من به الرحمن، العكبري: 291/2
(31)-بحر العلوم، السمرقندي: 497/3
(32)-شرح الرضي على الكافية، محمد بن الحسن الأستراباذي: 53/4
(33)-معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 201/1
(34)-م س: 273/4
(35)-تهذيب اللغة، الأزهري: 423/3-424، لسان العرب، ابن منظور: 767/9
(36)-شرح الدماميني على مغني اللبيب، محمد بن أبي بكر الدماميني: 460/1
(37)-روح المعاني، الألوسي: 250/16، إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش: 717/4
(38)-شرح الرضي على الكافية، محمد بن الحسن الأستراباذي: 53/4
(39)-الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي: 554
(40)-البحر المحيط، أبوحيان: 11/5
(41)-فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي: 203/5
(42)-التحرير والتنوير، ابن عاشور: 247/28
(43)-البحر المحيط، أبوحيان: 210/1

(44)-التبيان في إعراب القرآن، العكبري: 47/1، البحر المحيط، أبوحيان: 50/2

(45)-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: 452/1

(46)-البحر المحيط، أبوحيان: 353/6، إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش: 163/5

(47)-التبيان في إعراب القرآن، العكبري: 645/2، البحر المحيط، أبوحيان: 47/5

(48)-فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي: 311/5

(49)-الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح: 482/12

(50)-التفسير البسيط، الواحدي: 208/24

(51)-التحرير والتنوير، ابن عاشور: 471/30

(52)-معاني القرآن، الفراء: 281/3

(53)-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: 323/5، البحر المحيط، أبوحيان: 456/5

(54)-شرح مغني اللبيب، محمد بن أبي بكر الدماميني: 462/1، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 36/2

(55)-إملاء ما من به الرحمن، العكبري: 55/1، روح المعاني، الألوسي: 332/1

(56)-الكتاب، سيبويه: 342/2

(57)-الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح: 419/3

(58)-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 320/5

(59)-الكتاب، سيبويه: 18/3

(60)-الكليات، أبو البقاء الكفوي: 396

(61)-البحر المحيط، أبوحيان: 420/6

(62)-تفسير القرآن الكريم سورة الزخرف، العثيمين: 123

(63)-روح المعاني، الألوسي: 77/25

(64)-التبيان في إعراب القرآن، العكبري: 142/1

(65)-البحر المحيط، أبوحيان: 117/4

(66)-فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي: 131/4

(67)-البيان في روائع القرآن، تمام حسان: 217

(68)-إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني: 133/1

(69)-التحرير والتنوير، ابن عاشور: 520/30

(70)-تفسير القرآن الكريم جزء عم، العثيمين: 302

(71)-التبيان في إعراب القرآن، العكبري: 168/1

(72)-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 388/5

(73)-دراسات لأسلوب القرآن الكريم، عبد الخالق عضيمة: 152/2

(74)-الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي: 552

(75)-المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ابن جني: 308/2

(76) -التفسير المنير، الزحيلي: 428/9

(77) -الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 80/15

(78)-الكشاف، الزمخشري: 249/4

(79)-فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي: 127/4

(80)-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 311/5

(81) -البحر المحيط، أبو حيان: 297/4

(82)-فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي: 354/4

(83)-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: 182/07

(84)-تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة: 357

(85)-صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري: 938، رقمه: 4800

(86)-البحر المحيط، أبو حيان: 265/7

(87)-م ن: 155/6

(88)-الكشاف، الزمخشري: 48/4

(89)-لسان العرب، ابن منظور: 4156/46-4157

(90)-التحرير والتنوير، ابن عاشور: 156/16

(91)-مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: 869

(92)-البحر المحيط، أبو حيان: 58/7

(93)-فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي: 122/4

(94)-الكشاف، الزمخشري: 334/2

(95)-لسان العرب، ابن منظور: 4946/55

(96)-مجموع الفتاوى، ابن تيمية: 181/15، والتفسير الكبير، ابن تيمية: 133/5

(97)-دقائق التفسير، ابن تيمية: 305/4

(98)-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 562/6

(99)-معجم القراءات، الخطيب: 521/3

(100)-الكشاف، الزمخشري: 125/3،126

(101)-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 169/6

(102)-م ن: 436/3

(103)-الكشاف، الزمخشري: 641/1

(104)-التبيان في إعراب القرآن، العكبري: 89/1

(105)-معاني القرآن، الفراء: 238/1

(106)-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 437/3

(107)-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: 387/2

(108)-التبيان في إعراب القرآن، العكبري: 89/1

(109)-البحر المحيط، أبو حيان: 16/8

(110)-التحرير والتنوير، ابن عاشور: 212/25

(111)-الكليات، أبو البقاء الكفوي: 397

(112)-التفسير المنير، الزحيلي: 166/13

(113)-الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي: 557

(114)-النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: 227/2، المبسوط في القراءات العشر، الأصبهاني أحمد بن الحسين: 146

(115)-التبيان في إعراب القرآن، العكبري: 55/1

(116)-شرح الدماميني على مغني اللبيب، محمد بن أبي بكر الدماميني: 465/1

(117)-م ن: 467/1

(118)-البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات بن الأنباري: 150/1

(119)-م ن: 151/1

(120)-معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 286/1

(121)-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: 516/1

(122)-الكتاب، سيبويه: 24/3

(123)-معاني القرآن، الفراء: 135/1

(124)-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 382/2

(125)-الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي: 290/1

(126)-فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي: 432/1